مفردات يوميّة

. طارق نوفل .

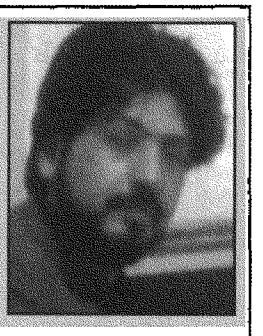

طارق نوفل
شاعر سوريّ، مواليد ١٩٨٠. ينشر في الدوريّات العربيّة، وله عدة دواوين: **بين خريفين، مزاج الريح، أشياء تهوى الحياة.**

على أنغام مارشسلاف، حضرتْ. شدَّها من يدها. دفعتْها الريحُ إلى صدره. ضمّها. رائحةُ البارود تفوح منها، هي الآتية من شوارعَ مُشتعلة، وقد عبرتْ أثناء استراحةِ القنّاصة.

همستْ: «أشعلُ أيَّ شيءٍ، أريد أنْ أرى وجهك.»

أشعلَ شمعةً، ووضعها على حافة النافذة. تمدّد الظّلُّ الأحمر على ثلثيْ مساحة البلّور، فبدا كمعتقلٍ معلّقٍ ينزف في أحدِ الأقبية السرّيّة.

«لا وقت للكلام،» قال لها، «اقتربي سريعًا.» غرسَ عشرة نصالٍ بيضاءَ في شفتها السُّفلى. فشعر أنّ جيشًا مسالمًا يسيرُ في أزقّة جسده.

مرّر يديه في شعرها، فارتطمتا بدبابيس سوداء، جثثٍ متفحّمةٍ لقتلى مجهولي الهويّة، رُموا على عجلٍ بين الأدغال.

تلمّس حاجبيْها. بالأمسِ كانا جسرًا واحدًا، قبل أن تفرّقهما عبوةٌ ناسفةٌ إلى جسرين: لا الذين ذهبوا يستطيعون العودة، ولا من في الداخل يستطيعون الفرارَ بعد أن تُركوا وحدهم في مواجهة مصيرهم القاني.

الظلُّ الأحمر يدلف من الجدران وينعكس على كلِّ الأشياء. توغّل بعينيها. عينان خضروان تتمرأى بهما شمعةٌ حمراءُ. سهلا قمحٍ في آذار، أحدُهم أضرم النيرانَ فيهما ليحرمَ العصافير مؤونةَ الشتاء.

قبّل شامةً واضحةً على خدّها هي آثارُ قذيفةٍ لرامٍ أصاب هدفَه بدقةٍ.

بيديه، بعينيه، يتفحّصها كأنّه للتوّ يتعرّف إليها. مال برأسه إلى اليسار قليلاً، وأخذ يتأمّل قرطيْن يتدلّيان كجنديْن منشقّيْن أعدما أمس وقد يحاكَمان غدًا أو بعد غد.

شعر بجفافٍ مزمنٍ يقطن ثغره. نظر إلى صدرها وأشار إلى أقدم ينبوعيْن آدمييْن يكفي أن تمرَّ شفتاكَ بمحاذاتهما حتّى تشعر بالارتواء.

أمسك بياقة القميص. بخجلٍ أنثويّ تراجعتْ إلى الوراء قليلاً. ترنّحت الطاولةُ خلفها – الطاولةُ ذات القوائم الثلاث، التي قطعَ جزءًا منها ليتدفّأ به، فبدت كضحيّةٍ لا ذنب لها إلا أنّها خرجتْ في الصُبح لتشتري الخبز فمرّت في الشارع الخطأ.

تتملّكه رغبةٌ فاحشةٌ في دهم الينبوعين، إلا أنّ أزرار القميص الكبيرة الكثيرة بدت أشبهَ بنُقَطِ تفتيشٍ كثيفة، فخشي ورودَ اسمِه هناك، ومن ثمَّ الذهابَ في غياهب النسيان.

في هذه اللحظة كان الظلُّ الأحمر يقطنُ فوق الفراش، فيغدو سريرًا معطوبًا داخل مشفًى ميدانيّ.

تناسى عطشَهُ. أراد الولوجَ إلى المنطقة الوسطى، حيث حرارةُ الزمن تعدّل من برودة الطّقس. «لا بدَّ من المناورة،» قال في نفسه. هبط إلى الأسفل. نزعَ الجوارب. خمسُ أصابع رقيقةٍ بيضاء بطلاءٍ توتيّ. متظاهرون صغار أصيبوا للتوّ. المشفى محاصرٌ بأشباحٍ مستعرة. الطبيب المعالِج عالقٌ بين حاجزين. ينزفون وينزفون وقد يموتون. تتسابق محطّاتُ التّلفزة إلى إعلان سبقٍ جنائزيّ.

تابع سيره. الليلُ يقوم بانسحابٍ تكتيكيٍّ. النمش الكثيف، المتناثر في كلّ مكان، آثارُ رصاصٍ لجنودٍ تعمّدوا ألّا يصيبوا الهدف.

الطريقُ أطول ممّا تصوّر. التعب، يتسلّل ليعتقله. فكّر هنيّهةً: لماذا لا أتسلّل إلى الخصر، فأهبط إلى المنطقة الوسطى؟

راقت له الفكرة، فنهض سريعًا. أطبق بيديه على الحزام المعدنيّ. الطوق الأمنيُّ كان شديدًا. الحزامُ مشدودٌ إلى الخصر بعنايةٍ فائقة. رفض الحزامُ أيَّ حلٍّ أو انحلال.

أحسَّ بعجزٍ يجتاح ضواحيَ جسده. شعر بروحه تتداعى تحت قصف فراغٍ يحتلّه الآن. هوت يدُه، كأنياب ذئبٍ استسلمتْ لفريسة.

انسحبَ. رمى بجثّته على الفراش، وسلّم وجهَه إلى الجدار. لملمتْ ما تناثر من شهوتها. بهدوءٍ استلقت بجواره، وسلّمتْ وجهَها للجهة المقابلة، تاركةً بينهما مسافةً للفراغ وللجغرافيا ليطرحا أسئلةً عن غدهما.

نام كلٌّ على حدة، بانتظار قرارٍ كونيٍّ ببزوغ شيءٍ ما.